هذا مسكين ضربه الحزن في آخر عمره فتغصّ عليه الحياة ...

هذه ورقة متناثرة من اوراق المجتمع ...

***

رفعتُ رأسي بعد هذه المشاهد واذا بالظلام قد ضرب سرادقه، فقمت الى مقرّي والنفس حزينة، والقلب كئيب

تناثرت اوراق الشجر! ... ولكنها ستتجدّد عمّا قريب، فتزدهر الغصون في الربيع، وتبدو الطبيعة بثوب جديد قشيب

اما اوراق المجتمع المتناثرة ؟؟؟ فمتى وكيف تُجدَّد ؟ وما يعيد السرور الى هذا المجتمع الحزين اليوم ؟ وهل لهذا الداء من دواء ؟ ...

وكأنّ النسيم العليل حمل بلسماً لجراحي الداخلية فهمستُ والابتسام على شفتي: نعم! نعم! ستُجدَّد، ويزدهر المجتمع، وتسري الدماء النشيطة في اعضائنا الذابلة. والمجع دواء لهذا الداء هو ...

الرجاء

رحلة رسولية الى بلاد الجليل

بقلم حضرة الاب فردينان توتل اليسوعيّ (صلة لما سبق)

المغار

موقع المغار على اكمة الى الجنوب تلوح بيوتها عن بُعد بين اشجار الزيتون والصبّار. ومعظم سكّانها مسلمون يبلغ السنّيون منهم نحو مائتين ومن وجهائهم محمد العايده وفندي محمود. وفي المغار ثمانمائة درزي من وجهائهم يوسف حسين شيخ

الدين والشيخ عبدالله السلامه . اما عدد المسيحيين في المغار فيناهز ٤٧٠ نفساً كلهم روم كاثوليك ومن وجهائهم سليمان فارس وسكران ريناوي وجبر ابراهيم العرتول وقد خسرت القرية من ابنائها بالمهاجرة وبنكبات الحرب الكونيّة زهاء ٣٠٠ شخص

وفي المغار مدرستان للصبيان تقوم الحكومة بنفقتها الواحدة للمسيحيين موقعها في جوار الكنيسة ويبلغ عدد تلامذتها ٤٤ والاخرى للدروز وعدد تلامذتها ٢٠

ولا شكّ ان المغار اتخذت اسمها من المغائر العديدة الموجودة فيها اتخذ الاهلون قسماً منها لسكناهم . ولهم عينٌ يدعونها عين المنصورة واقعة شمالي شرقيّ القرية على مسافة عشرين دقيقة منها دُعيت بالمنصورة لقربها من ضيعة تسمى منصورة ذكرها «جيرين» في كتابه عن الجليل (Guérin, : *La Galilée* I, 120) وقد عدد سكانها ٢٠٠ وهم دروز وقد تدلّ فيها غزارة المياه على استيطان الاقدمين لها وتشهد لعمرانهم معاصر الزيت التي لا تزال بادية آثارها في الصخور

وما بين دروز المغار والسنيّين في القرى المجاورة عداوة قديمة طالما سعى صاحب السيادة المطران غريغوريوس حجار باخماد نارها . وقد حدث في مدة الرياضة ان ثلاثة من اهل المغار المسيحيين مرُّوا بالقرب من سخنين (وهي قرية اسلامية واقعة شرقاً على طريق عكّا) فاغار عليهم بعض سكانها وسلبوا امتعتهم انتقاماً لبقايا دية كانت لهم على دروز المغار فجعلوا المسيحيين مسؤولين عن تقصير الدروز في دفع حقّ الدم . على ان المظلومين لم يصبروا هذه المرة ايضاً على التعدّي والجور بل ذهبوا حالاً الى عكا ورفعوا شكواهم الى الحكومة لعلمهم بانها تعامل الجميع بانصاف

وقد انادنا حضرة الاب مرقس خوري دير حنّا عن اسباب هذه العداوة بين القومين قال :

حلّ تلك البلاد في اواسط القرن الحادي عشر للهجرة رجل اسمهُ زيدان ولهُ ولد اسمه عُمر ولعمر ولدان ظاهر واسعد فضربوا خيامهم في شمالي سهل البطوف في ارض مسلخيت بالقرب من قرية عرابة وعاشوا بالسلم والوداد مع اهلها السنيين

فحدث ان مرّ بعرابة شيخ درزي من قرية سلامة وهي اليوم خربة سلامة فرأى فتاةً من اهلها فأحبّها فطلبها من اهل قريتها . فاختار سكان العرابة بامرهم أيستطيعون ان يرفضوا طلب الشيخ دون اثارة غضبه وهل من المروءة والشرف ان

تسلّم تلك القادة الحسناء الى مثل ذاك المسخ فبلغ الخبر زيدان فقال: اني أكفيكم شرّهُ عاهدوني على كتمان سرّي واتّباع مشورتي. ففعلوا فقال: ادعوا الدروز ليأتوا ويأخذوا العروس فجاء الدروز على عادتهم يغنّون ويرقصون وبيدهم الاسلحة فاحسن اهل العرابة ضيافتهم واستلموا اسلحتهم وتركوهم يتمتّعون ما شاؤوا بالرقص والمسرّات الى ان احتلك الليل ونام الدروز اجواقاً اجواقاً في بيوت القرية فقام حينئذٍ زيدان مع بعض اشدّاء القوم وذبح الدروز ثم زحف مع اهالي عرابة على قرية سلامة فسبَوْا وقتلوا وتملكوا الخيل والحلى والزيتون وقويت اذ ذاك شوكة زيدان وانضمّ اليه كل شارد طريد طمعاً بالغزو والغنيمة

وليس المقام هنا لذكر قصة الزيادنة وكيف آل الامر بهم الى ادخال البلاد في طاعتهم حتى ظهر ظاهر العُمَر فتملّك فلسطين وتمدّد سلطة الاتراك في سورية بل حسبنا اننا ذكرنا اصل تلك العداوة التي لم تهمد بعدُ نيرانها ولا تزال سبباً لاضطراب حبل الامن في البلاد

الرامة

رافقنا من المغار الى بعض الطريق حضرة خوريها الاب سليمان معلوف فسرنا غرباً ببيلة الى الجنوب في اراض غُرست زيتوناً وصبّارًا. وجدنا على الطريق دودة حمراء صغيرة فقال لي الاب: انهم يسمّونها دودة الغيط او البلعوث واذا ظهرت بكثرة دلّت على سنة مطر وخير. وبعد ساعة وصلنا وادي السلامة يجري فيه ماء الى طواحين بعضها خراب. وهناك عدة انقاض قال فيها «جيران» (١ انها آثار حصن سلاميس القديمة الذي عزّزهُ يوسيفوس القائد والمؤرخ اليهودي ليمنع الرومانيين عن احتلال الجليل (٢

توجّهتُ شمالاً نحو نبع المياه فرأيت الاطلال على طرفي الوادي كالجنّة الغنّاء. ترعى فيها المواشي كلأ الربيع المعطّر الاخضر ثمّ انتهيت الى سهل فقطعت مجرى الماء

١) اطلب كتابهُ في وصف بلاد الجليل (Guérin: *La Galilée*, I., 416)

٢) اطلب كتابهُ في حرب اليهود (B J, II, c. xx)

ودخلت في حقول الرامة نحو الغرب شمالاً الى ان وصلت القرية ساعتين بعد خروجي من المغار

الرامة مبنية جنوباً على قلّة جبل يشرف الناظر من اعاليهِ على بلاد صور وجبال القدس والبحر المتوسط ومدينة صفد وبحيرة طبرية وعلى قرى عرابة وسخنين ودير حنا وعيلبون. من الرّجح انَّ هـذه القرية هي «رامة» القديمة الداخلة في حصة بني آشير

زارها «جيرين» (١ في الربع الاخير من القرن الماضي فلم يجد فيها كاثوليكيين امَّا الآن ففيها كنيسة للاتين وكنيسة للروم الكاثوليك وكنيسة للروم الارثوذكس وليس فيهـا الّا خوري واحد وهو حضرة الاب الفاضل انطون الحيحي اللاتيني الذي اضافنا في داره واكرم مثوانا وافادنا التعليمات التالية قال: انَّ اغلب السكان مسيحيون منهم ١١٥ روم كاثوليك ومن وجهائهم جميل نخله و ٣٥٠ روماً ومن وجهائهم حنا اليعقوب و٨٠ لاتيناً و ١٦٠ درزيًا على التقريب

وقد انشئت الرسالة اللاتينيَّة منذ ١٢ سنة كان يتردد عليهـا الاباء اللعازاريون المقيمون في الطابغة الى ان تعين فيها كاهن من قبل البطريرك الاورشليمي

وعدد المهاجرين يناهز العشرين والبعض من السكان عادوا من المهجر فـابتنوا بيوتاً جميلة جعلت الرامة اشبه منهـا بقرى لبنان الراقية وفيهـا مدرسة يناف عدد تلامذتها على المئة يهذّبهم ثلاثة معلمين . واللاهالي همة ونشاط فانهم حصروا ميـاه النبع وجرُّوها بقساطل الى منتصف القرية فتَرِدها الفتيات بلا تعب لقربها من المسكن

عيلبون

عدتُ من الرامة الى المغار فختمتُ الرياضة ومنهـا ركبت الى عيلبون فقطعت الحقول جنوباً بين اشجار الزيتون التي حُبس كثير منها وقفاً على كنيسة المغار ثم عبرتُ ساقيةً وحوّلت السير ميمنةً الى ان بلغتُ عين عيلبون بعـد ساعة و ٢٠ دقيقـة وارتقيت الى القرية بعد ساعة ونصف من سفري

قد عُرفت هذه القرية عند القدماء باسم قبور الصدّيقين وفيها يُكرم حتى في ايامنا

١) اطلب كتابهُ في الجليل (٣ : ١٢٥)

قبرٌ يزعمون انه قبر النبي هوشع وقد زرتُهُ في غربي عيلبون وهو عبارة عن احجار ضخمة لا زال بعضها على هيئة نصب بثلاث درجات تبلغ السفلى منها ١٢ مترًا تقريباً من الطرف الشرقي ويقصده العرب فيقبرون موتاهم في جواره ويضعون عليهِ النذور : مناديل وعيداناً من خشب

في عيلبون كنيسة كاثوليكية بناها سنة ١٨٨٤ ابو سعد البنّاء البيروتي وابو نخله الحجار الشويري وهي جميلة على صغرها لأننا وجدنا فيها من النظافة وحسن الاعتناء ما لم نجد مثله في قرى الجليل الّا في قرية دير حنا . فالقربان المقدس لا يزال ليل نهار مصمودًا على الهيكل المغشّى بالكتان الابيض والحرائر . وصحن الكنيسة مكنوس نظيف وانائها محكم الصنع . وذلك بفضل وهمّة حضرة الاب الخوري حنا داود المعلم وولده حنا استاذ المدرسة وتمثّينا لو يجري على هذا المنوال كثيرون من خوارنة الرعايا فيهتمّون بنظافة كنائسهم وتزيين هياكلها ولو قصدوا لمّا اعتاص عليهم الامر لاسيما اذا استعانوا بخدَم كثير من الراهبات المقيمات في الاراضي المقدّسة

سكان عيلبون اجمعون مسيحيون كاثوليكيون وعددهم ٢٩٠ وجهاؤهم سليمان جرجس زريق وابراهيم الخوري يوانس الاشقر (واصله من دير حنا) وديب سرور (من حوران) وجرجس الشرفاني وداود يوسف العيلبوني

على ان الشيطان طغى احد اهل عيلبون فسوّل لهُ لقضاء شهوتهِ ان يجحد دينهُ ويهجر امرأتهُ الشرعيّة ليأخذ غيرها سِفاحاً . ومن العجب ان احد اساقفة الروم الاورثذكس رضي بتزويجهِ طمعاً بالمال . والتفّ حول العاصي بعض من ذويهِ فركّبوا فوق احد البيوت جرساً على خشبة وارسلوا شابًّا لهُ من العمر ١٨ سنة الى الناصرة حيث ارتسم كاهناً وعاد الى عيلبون ليرعى الرعية الجديدة لكن الاجير ما لبث ان ترك خرافهُ ولم يكترث لامرهم . فأحسّ ذوو الالباب منهم بخطإهم وهم يلتمسون اليوم فرصةً ليعودوا الى حجر الامّ الحنون وقد يرون حبّها في قلب سيادة المطران غريغوريوس وكثيرون منهم كانوا يتردّدون على الكنيسة ايّام الرياضة ليسمعوا كلام الله . بل كان المسلمون يأتون ويزورون كنيسة عيلبون ولا احد يزعجهم وكان منهم عدّة رجال يقصدون الكنيسة كلّ مساء لسماع مواعظ الرياضة وكانوا يصغون

باحترام الى الكلام في غاية الانسان القصوى وعن ضرورة الاستعداد للموت ولتأدية الحساب يوم الدين

وقد سنحت لي فرصة ان اجتمع بالواحد منهم فقال لي : « أدخلُ الكنيسة وقلبي قذر لسرد كيدي (واراني يده الفلاحية السوداء) وأخرجُ بعد الوعظ وقلبي ابيض صافٍ. فيا ليت لنا المسلمين من يرشدنا ويعظنا كما للمسيحيين فلا نعود نكفر ونخطئ». وسألتُهُ عن رأيهِ في دين المسيحيين ؟ فقال : « دين المسيحيين حسن الّا في امر الزواج فانكم لا تسمحون للرجل الّا بامرأة واحدة اما عندنا فلهُ ما يشاء من النساء. وقد بلغني ان رجلًا من القرى المجاورة اقترن بثماني عشرة امرأة ورُزق منهنَّ مئة وسبعة وثلاثين ولدًا. فلو كان مسيحيًا لعجز عن ذلك». فقلت لهُ : «وكم من مسيحي يُرزَق من امرأتهِ الواحدة نسلًا اوفر من المسلم المتعدّد الزوجات . ثمّ ان الراقين من اهل مصر وهي من ارقى البلاد الاسلامية حضارةً شرعوا يطلبون منع الزواج الّا بواحدة . ومثلهم الاتراك الكماليُّون». فتعجب من كلامي كثيرًا

دير حنّا

لم تكن قرية دير حنا من القرى التي ارسلنا اليها راعي الابرشية لتلقي فيها عظات الرياضة وقد سبق الى ارشادها احد اخوتنا اليسوعيين حضرة الاب دي ڤيلنوف قبل عيد الميلاد الّا اننا زرناها لقربها من عيلبون وتلبيةً لدعوة حضرة الاب خوريها الغيور

يناهز عدد سكّان هذه القرية ٥٢٠ نفساً منهم ١٢٠ مسيحيون و٤٠٠ مسلمون وأعيانهم عبد المجيد الحسين وجابر داود الحبيب وفاضل نجل الامير محمود الفاضل امير قبيلة الفضل

وفي دير حنا كنيسة حديثة العهد اخذوا ببنائها سنة ١٩٠٧ وانتهوا منها بعد سنتين وهي نظيفة يُحفظ فيها القربان المقدس كما في عيلبون

ولمّا دخلنا بيت حضرة الاب الخوري زارنا بعض اهل القرية فرغبتُ اليهم بان يفيدوني شيئاً عن تاريخ بلدتهم فبادر حضرة راعيهم الى تلبية طلبتي وكان قد جمع

ما ثبت لديهِ من التقاليد عن الحوادث التي جرت في دير حنا منذ قرنين فاخذتُ عنهُ ما يلي باختصار

«موقع القرية على قمة رابية يحدُّها جنوباً جبل حزوه ومنهُ يشرف الناظر على البحر الابيض غرباً وسهول حوران وبحيرة طبرية شرقاً. ومن منحدر الرابية الشمالي تخرج عين النجيمية وهي تبعد مسافة ربع الساعة تقريباً عن الساكن يَردُها الاهالي الى ان تشحّ فيعدون حينئذ الى آبارهم . في شمال البلدة سهل فسيح طوله شرقاً بغرب يزاهي الميلين والنصف وعرضهُ شمالاً بجنوب ميلاً. وفي شرقيهِ بركة شادها بنو ظاهر طولها ٢٥٠ متراً في ٧٠ عرضاً تستقي منها المواشي

«وللقرية اربعة ابراج اثنان شرقيان واثنان غربيان تهدَّم جانب منها . حاصر الجزّار دير حنا وضربها بالمدافع من الشمال فلم يقوَ عليها فعلق بحفر مغارة لعلَّهُ يتسرَّب اليها ولا تزال معروفة الى يومنا بمغارة اللغم فلم يفلح بمسعاه الى ان عنَّت لهُ فرصة دخل بها المدينة عفواً

«وذلك ان الرجل الذي كان بنو ظاهر بعد مقتل سعد العمر حاكم دير حنا فوَّضوا اليهِ بامر حماية القرية (وهو على ما يقال من اجداد سليم سعيد البيطار الساكن اليوم في قرية مغار حزور) كان اقام على الاسوار خفيراً من اهل البلد ليسهر ويراقب حركات العدو وصدف ان المفوَّض مرَّ ليلاً يتفقد شؤون الحصن فرأى الخفير نائماً فضربهُ ضرباً مبرّحاً وتهدَّده بالموت. فالقى الخفير بنفسهِ من اعلى السور واستسلم الى الجزار واخبره ان الاهالي في ضيق عظيم يشكون ظلم المفوَّض وهداهُ الى مدخل القلعة . فما اصبح الصباح الَّا واحاطت جنود الجزار بدير حنا وتقدَّم واحد منهم ونادى المفوَّض ففتح هذا نافذة غرفتهِ غرماهُ الرجل برصاصة وسلَّمت القلعة فأمَّن الجزار الاهلين على ان يُخلوا المدينة ويحمل كل واحد ما يستطيع من المتاع على ظهرهِ فوضعت النساء حُلاهنَّ في قعر اسرَّة الاطفال وأضجعن فيها الاطفال وحملنها على رؤوسهن وخرجنَ

«وكانت هناك كتابة منقوشة على حجر تخلَّد ذكر سعد العمر باني قلعة دير حنا ومُشيّد جامعها سنة ١١٤٤ هـ فاقتلع الجزار الحجر المنقوش امَّا الكتابة فاليك نصَّها:

بـاني هـذا الـدير سعـد العمَرْ يرجوك يا مولاي جنة الفردوس تكون المقرْ

بيوتـه وحكره تكون لمجـدو غرشاً على كل بيت كبير ونصف على كل بيت صغير
قـد كان للرابوعي فيـه تـاريخـه رام فيـه كل مجـد واقتـدر

واهل الدير الذي بُنيت مكانهُ القلعة أصله من الصليبيين فاقام بنو ظاهر القلعة مكانهُ واحاطوها بسور يبلغ عرضه مترين في المحلات المعرَّضة لهجمات العدو وفي السور ابراج يُصعد اليها بالمراقي وفي داخل القرية ستون بئرًا استعدادًا للحصار وكذلك في السور صهاريج وآبار

ودار سعد العمر في السرايا مساحتها ٧٠ مترًا من الشمال الى الجنوب باربعين من الشرق الى الغرب فيها عدَّة قاعات معقَّدة ولها ايوان مع عمودَيْن. وكان البناء ذا ثلاث طبقات من الحجر الاحمر والابيض اليابس وهو منقوش مصقول وقد هُدمت طبقتهُ الثالثة ومعظم بنائهِ الغربي وكانت الطبقة السفلى المعدَّات الحربية والعليا للسكنى يُرتقى اليها بدرج داخل البناء لا يزال موجودًا

ويزعم البعض ان آثار الدير القديم الذي اليهِ نُسبت القرية هي في جوار الكنيسة الجديدة في موضع بيت اولاد محمد ابراهيم نصره والله اعلم

مرج البطوف

اغتنمنا فرصة إقامتنا في عيلبون للتجول في انحائها فخرجنا صباحاً بصحبة حضرة الاب خوريها وهو شيخ وقور محبوب من اهل قريتهِ وهو بينهم كالقاضي والزعيم سرنا معه نحو الجنوب فاجتزنا حقولًا يحرثها الفلاحون فحيَّيناهم بالتحية الجارية عندهم : «صبح بدانهم» فاجابوا «سلم بدانهم»

سلكنا طريقاً ينحدر من منعطف اكمة فكشفنا على مرج البطوف واسمهُ الاصلي ابو الطَّرْف اشارةً الى كثرة المياه التي تنصبّ فيهِ من الآكام المجاورة وتتجمَّع بحيث لا يستطيع احدٌ اجتياز مستنقعات المرج . وهذا السهل من اخصب سهول فلسطين هيئتهُ بيضويَّة الشكل عرضها الاعرض يتسع من الشمال الى الجنوب مسافة نصف ساعة للماشي وطوله الاطول شرقاً فغرباً لا يُقطع الَّا بثلاثة ساعات وفي وسطه اكمة من صخور تسمى الجلّات واراضي البطوف ملك اهالي العرابة وسخنين وعيلبون على ان الاكثر خصباً منها يملكهُ المسلمون وكانوا يزرعونها قمحاً وقطناً اما اليوم فلم

نجد فيها الّا قمحاً . وجزء عظيم من اراضي العرابة بوار

دخلنا في المرج فسرّحنا النظر في ارجائه . يحيط به شرقاً عيلبون وخربة ام العمد وشمالًا خربة ياطو وخربة قانا (البطوف) وغرباً كفرمندء وخربة الرومية وجنوباً خربة الرومانية (وهي ملك المطران السيد غريغوريوس حجار) وقريتا العزيز والبعينة

وقد تقصد السابلة الى شفاعمر عن طريق البطوف فيمرون بذيله الشمالي الى كفرمندء الى شفاعُمر ولا تخلو هذه الاصقاع من الضباع والغزلان

خربة امّ العمد

ارتقينا شرقاً الى اطلال تغطّيها الاعشاب التي تنتجعها المواشي وارضهـا صخور بركانيّة ضخمة ترتفع على سياق واحد كأنّ موجاً عرمرماً تفجّر بغتةً من بطن الارض فاقتلع الصخور ورماها بعيداً فتجمّدت وهي تشهد إلى احداثه فيهـا الزلزال فعاث في هذه الاراضي ودمّرها تدميراً

وهذه الخربة احدى المئتين والثلاث الخرَب التي وصفها العلّامة بَيرين في رحلته الى الجليل وهي أدلُّ دليل على ما نالت هذه البلاد من الرقي والعمران في أيّام الدولتين اليونانيّة والرومانيّة فاصبحت اليوم خراباً يباباً ينعق فوقها الغراب بعد ان قوّضتهـا الزلازل واغار عليها بنو الصحراء وانّما بقي منها بعض الآثار الناطقة بمجدها الغابر

ومن اهمّ آثار امّ العمـد معبدها القـديم وهذا اشبه بهيكل كفربرعَم الذي سبق الى وصفـه حضرة الخوري ابرهيم حرفوش في المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ١٠٣٤—١٠٣٥) . وكانت وجهة هذا البناء من الجنوب الى الشمال ولعلّـهُ كان ذا خمسة اروقة تفصل بينها صفوف عواميد لا يزال بعضها ملقًى على الحضيض والعمود قطعة واحدة وعلى الارض حتّى مكمّية وهي بواقي الفسيفساء التي كانت ارض المعبد مرصوفة بها وهناك ايضاً تيجان عواميد واحجـار كثيرة نُقشت عليها رموز ورسوم منها بشكل الحية ومنها بشكل النجوم تُشبه ما يُرى في غيرها من الاثار كما في قبور شفاعمر ونحوها ممّا يرتقي لعهد واحد . وقد سعى الالمـان في زمن الحرب الكونيّة ان يصلحوا هذا المعبد ويردّوهُ الى هيأته القديمة فرمّموا مدخلهُ وعلى عتبته صورة اسدين يتواجهان

وفي غربي الكنيسة رأيت بركةً رميمة وبالقرب منها عدَّة نواويس ظلَّت الايام ما نقشه عليها النقَّاش القديم من زخارف وتصاوير. امَّا المدينة التي كانت مبنية على هذه الاطلال فقد لحق بها الدمار وعلى انقاضها نبت العلّيق والعوسج فصحَّ ما عُرفت بهِ اليوم باسم خربة امّ العمد او ان شئت فقل خربة امّ الخراب

وقبل ان نبارحها سرَّحنا نظرنا في اربع زوايا الافق فرأينا شمالًا وادي السعد وشرقاً جبل غرين في شماله الشرقي سهل حطين الشهير بوقعة الصليبيين حيث كسر صلاح الدين الايوبي الفرنجَ واسر جيشهم أجمعه وكان العطش قد قتلهم (٤ تموز ١١٨٧) وغنم منهم عود الصليب المقدس وقضى على مملكة اورشليم اللاتينيَّة

وفي جنوبي غربي قرية حطين يكرم اليهود والاسلام قبراً يزعمون انه قبر النبي شُعَيب حمي موسى وبالقرب منه شرقاً جبل التطويبات الذي اعلن منه المخلص ناموسهُ الجديد وسنَّ شريعة المحبة اسّ الدين الباطن وركن الدين الظاهر ودعامتهُ

طرعان

وبعد ان ختمنا الرياضة في عيلبون سرنا الى طرعان لنباشر مثلها لاهلها فقطعنا آكاماً ووديااً وتركنا على شمالنا غرين ولوبيا وانحدرنا الى القرية وهي مسيحية اسلامية واقعة جنوبي غربي حطين بين طبرية والناصرة شمالي الطريق وعن قرب من كفرقانا. اهل طرعان نحو ٩٠٠ نفس منهـا المسلمون نحو ٥٠٠ والباقون نصارى يبلغ عدد الكاثوليك بينهم ١٥٠ نفساً ومن وجهـائهم بيت مخائيل سلامه وبيت سمعـان ورحّال. واوّجهُ الروم بيت سعد بشارة . وللمسلمين بيت العدوي وصباح ودحلـه وغنيم والزعيني

وعند نهاية الرياضـة عرض علينا حضرة الاب الخوري سمعـان القنواتي دابَّته فركبنا وسرنا لنزور جبل الطور

جبل الطور — كنيسة التجلي الملوكيَّة

قطعنا مروجاً وآكاماً خيمَ فيها العرب وارسلوا مواشيهم في منعطفاتها وما مرَّت ساعتان الّا ونحن في اسفل الجبل المقدس على السكة التي اخترقها الاباء الافرنسيسيون

تسهيلاً لسير الاوتومبيل ولنقل المواد الضرورية لبناء كنيسة تجلي الربّ يسوع

وكنا كلما ارتقت بنا الخيل من كوع الى كوع على منعطف الجبل الاجرد تلوح لنا مناظر اجمل وتنعشنا نفحات نسيم ابلّ واعطر الى ان بلغنا من القمة ذراها فانشرحت منا الصدور وقرّت العيون

رأينا جنوباً ما بين سهول القمح وشجر الزيتون قرى كفرمصر وندور والداحي ونائين حيث ردّ المسيح الفتى الميت حيًّا الى أمّه الثكلى، وشرقاً في جوار الاردن والبحيرة وادي البيرة وقرى عديدة كسيدين وعولم والحدثة ثم نهر الاردن وما وراءه وادي الشريعة ومضايق اليرموك، وشمالاً صفد العليا واطلال الشاغور وعين ماهل وما وراءها جبل الشيخ وقد اكتسى حلّة بهية من الثلوج، وغرباً مرج ابن عامر وقرى دبوري وكسال وتل العدس والعفوله والخط الحديدي الرابط حيفا بالشام

هذه النقطة من البلاد اختارها الاله المتجسد مشهدًا وشاهدًا لتجليه امام الرسل اصفيائه قال الانجيليّ: (مرقس ٩: ١—٨ ومتى ١٧: ١—١٣ ولوقا ٩: ٢٨—٣٦)

وبعد ستة ايام اخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا فأصعدهم الى جبل عالٍ على انفراد وتجلّى قدامهم وصارت ثيابهُ تلمع بيضاء جدًّا كالثلج واضاء وجههُ كالشمس وتراءى لهم موسى وايليا وكانا يخاطبان يسوع فاجاب بطرس وقال ليسوع: يا ربّ حسنٌ لنا ان نكون هنا فلنصنع ثلاث مظالّ واحدة لك وواحدةً لموسى وواحدةً لايليا. ولم يكن يدري ما يقول لما كان بهم من الرعب وظلّلتهم سحابة وخرج صوت من السحابة يقول: هذا هو ابني الحبيب فلهُ اسمعوا. ونظروا حولهم بغتةً فلم يروا احدًا بعد الّا يسوع وحده معهم وفيما هم نازلون من الجبل اوصاهم ألّا يخبروا احدًا بما رأوا الى ان يقوم ابن البشر من بين الاموات

انتهت الحرب الكونية فاخذ الاب الجليل حارس الارض المقدسة يجمع المبالغ المالية لتشييد كنيسة على الطور تضاهي ابهى البنايات الدينيّة في فلسطين. وشرع العمّال في العمل وقد اوشكوا الآن ان ينجزوه. وقد رأيناهم منات يحومون كالنحل في خارج الكنيسة وداخلها وما بينهم الايطالي والوطني من ابناء الفن الحذّاق في النحت والنقش وشغل الفسيفساء. اما المهندس الاول فهو بارودزي وقد رتّب البناء على انقاض المعبد البيزنطي القديم ودعائمه واستعمل الطرز الهندسي المألوف في الفن الروماني السوري في عقد القناطر، وقد جعل للمعبد ثلاثة ابروقة وصدّره بغارة على شبه المغارة التي في كنيسة البشارة في الناصرة. وقبل ان يمد الغارة نحو المشرق لاحظ

انها مفتوحة ككوة عظيمة على السماء والارض يطل الزائر منها على الآكام والرياض فأبى الّا ان يتركها مفتوحة فيخال للناظر في اول لحة ان ما يراهُ فيها هو تصوير اصطناعي ولا يلبث ان يتحقق انها الطبيعة نفسها تشترك معه في الصلاة

والمعبد فخيم يغشيه المرمر الابيض ويرى من بعيد كأنه طائر عظيم ابيض واقف على ناصية الطور، بل كأنهُ بقايا السحابة التي سُمع منها صوت الآب

لو اردنا ان نأتي بشيء من تاريخ جبل الطور لطال بنا الامر اذ لا حجر فيه الّا ويذكرنا بأحداث جليلة وقعت هناك منذ عهد بني اسرائيل الى عصورنا الاخيرة. وانّما نكتفي بذكر القتال الشهير الذي وقع ما بين بونبرت والاتراك في هذه الاصقاع لقربه من عهدنا

كان بونبرت قد استولى على مصر وزحف على سوريا وضرب الحصار على عكا في ١٨ اذار سنة ١٧٩٩ فزحف من الشام عشرون الفاً من الاتراك واقاموا في شمالي جبل الطور الغربي فالتقى بهم القائد الفرنساوي كليبر في شرذمة قليلة وكان قد فصل عن الجيش ليراقب حركات العدو واوشك ان يهلك اذ دوت طلقة مدفع بشّرت بقدوم بونبرت فاغار حينئذٍ الافرنسيون على الاتراك وطوقوهم وكسروهم بفضل حنكة نابوليون بآداب الحرب

قضينا في جبل الطور ساعات هنيئة شائقة اوجبت علينا الشكر لحضرة الاب رئيس دير الفرنسيسكان لجميل ضيافته الاخوية وحسن استقباله

قانا الجليل او كفرقانا

قانا قرية شهيرة بالاعجوبة الاولى العلنيّة التي صنعها المسيح اذ حوّل الماء الى خمر (يوحنا ٢ : ١—١٥) وهي ايضاً مسقط رأس نتنائيل الذي دُعي ليدخل في عداد الرسل الاثني عشر واسمهُ برتلماوس

تبعد قانا ساعة عن طرعان وساعة ونصفاً عن الناصرة وموقعها على الطريق الكبرى يبلغ عدد سكانها ٦٠٠ المسيحيون منهم ١٥٠ روم كاثوليك و ٦٠ لاتين و ٢٥٠ روم ارثوذكس و ١٠ بروتستانت والباقون مسلمون. وينتمي المسيحيون الى بيت الفريّب وعقل (وأصلهم من اميون) وخشابون وشحاده ودانيال والمسلمون الى

بيت طاها وحمدان والزريقي وعباس والخطيب والعواودة

ويكرم الزوار في كنيسة الاباء الفرنسيسكانيين المكان الذي تمت به اعجوبة المسيح ويكشفون به من طاقة على ارض الكنيسة القديمة التي بُنيت في القرون الاولى ورُصفت بالفسيفساء ولم يزل مكتوباً فيها بالعبرية اسم المحسنين الى المكان المقدس

ومن اجلّ اثار قانا النبع الذي ورده الخدّام ليملأوا الاجاجين فهو في مدخل القرية الغربي يجري ماؤه ويطفح في حوض من حجر أخذ من ناووس قديم ووُضع في هذا المكان لتستقي منه المواشي. وهناك ايضاً أجانة يزعمون انّها احدى الاجاجين الستّ التي تحوّل ماؤها خمرًا

رينه

موقعها في منتصف الطريق بين الناصرة وكفرقانا . القينا فيها عظات الرياضة للروم الكاثوليك واللاتين معاً ورأينا فيها من غيرة الابوين الخوريين وحسن الاتفاق ما بين الطائفتين ما سرّنا وعزّانا فكان الابوان الجليلان اغناطيوس القادري ومرقس دالمديكو يبذلان سعيهما باجتذاب المؤمنين لسماع كلام الله فكانوا يؤمّون الكنيسة كلّ مساء بمددٍ عديد

كانت رينه خلوًا من الكاثوليك في اواخر القرن التاسع عشر لكن غيرة الاب المرسل اللاتيني مونيه (١٨٧٨-١٨٩٣) ردّت الى حضن الكنيسة كثيرين من اخوتنا المبتعدين عنها. واليك عدد الطوائف المسيحية: الروم الكاثوليك ١٢٦ واللاتين ١٠٠ وكلهم ينتمون الى بيت ابي رحمون وسكران ومنصور وشحاده وموسى وابي حنا يوسف الشائب. ثمّ الارثوذكس نحو مئتين ومن اعيانهم جرجس الخوري وايوب ابو يوسف. اما المسلمون فعددهم ٣٥٠ ومن وجهائهم ديب عبد الرحمان (المختار) ونمر الاحمد علي

تجوّلنا في انحاء القرية فلم نجد فيها من الآثار القديمة سوى عدة نواميس محفورة في زوايا الآكام الّا انه لم يعثر احدٌ بعد على كتابة تفيد شيئاً عن تاريخ البلدة. وانّما ذكر كتبة الفرنج موقعة حدثت في ١ ايار سنة ١١٨٧ في الغرب من عين الجوزة

شمالي رينه قاتل فيها الصليبيون وعددهم ٧٠٠ طليعة جيش صلاح الدين الأيوبي المؤلفة من ٧٠٠٠ جندي فهلك الصليبيون جميعاً الّا استاذ الهيكليّين الاعظم وثلاثة من فرسانه

مشهد

أدّى بنا تجوّلنا الى قرية المشهد وهي جتّ حافر القديمة وطن يونان النبي (٤ ملوك ١٤ : ٢٥) ذكرها القديس هيرونيموس في مقدمته على سفر يونان فقال : «جتّ في حافر ضيعة صغيرة تبعد ميلين عن صفّوري (١ يجدها القاصدون الى طبرية على طريقهم وفيها قبر يونان» . وتقليد الاهلين على اختلاف اديانهم يؤيد هذا القول وكلهم مجمعون على ان في هذه المحلّة مسقط رأس ومدفن النبي يونان

تقرّبنا الى القرية فمثرنا في طريقنا في وسط احد الحقول على حجر من الظرّان المنحوت الراقي الى العهد السابق للتاريخ . وقد افادني رفيقي حضرة الاب دالمديكو انهُ قد اصاب غيرها مرارًا في تلك الجهات . دخلنا القرية وزرنا الجامع وهو قبو بسيط حقير معلّق فيهِ قانوس وفي جانبهِ بعض الكتب الدينيّة . وسألنا عن السكان الوجهاء فذكروا لنا الشيخ عبد الحليم وسليماً العبد ابن الشيخ القديم وفي بيتهِ مضافة لاستقبال الضيوف اذا حلّوا في القرية

والقرية المشهد نبع يشربون منهُ حتى اذا شحّ عمدوا الى الآبار . ثم عدنا الى رينه ومررنا بين حقول القمح واذا اكثرهُ ذاوٍ مصفرّ لأن دودةً عاثت بهِ واذا لم تمطر السماء لتقتلها يُخشَ على تلف معظم الموسم

يافا الناصرة

قبل ان نأتي على ذكر الناصرة مدينة العذراء افضّل ان افيد القرّاء الكرام عمّا وجدته في يافا المنسوبة الى الناصرة وهي قرية واقعة في تخوم هذه المدينة غربياً لا تبعد عنها الّا ثلاثة ارباع الساعة وهي آخر محطّة ارسلني اليها راعي الابرشيّة

ويافا هذه قرية تدلُّ على قدمها آثارٌ عديدة تُرى فيها كالنواميس المحفورة في

١) تبعد عن صفوري ثلاثة امیال لا میلین عن المشهد

الصخور وقطع العواميد والتيجان. وبين صخورها حجرٌ نُقش عليه صورة منارة (شمعدان). وقد ذكر المؤرخ يوسيفوس هذه القرية فقال انها كانت مدينة ذات شأن نحو السنة الستين قبل المسيح ثم فتحها الرومان تحت قيادة طيطس فقتل اهلوها بعضهم بعضاً لئلا يسقطوا تحت حكم اعدائهم الوثنيين . ويسكن اليوم في هذه القرية من الروم الكاثوليك ٢٠٠ ومن اللاتين ١١٠ ومن الارثذكس ١٥٠ ومن المسلمين ٣٠٠ وفيها مدرسة للصبيان تحت ادارة الاب الخوري البطريركي اللاتيني ومدرسة للبنات تحت ادارة راهبات الوردية وفيها الآباء الفرنسيسكان كنيسة شادوها على اسم الرسولين يعقوب ويوحنا ابني زبدى

وراعي طائفة الروم الكاثوليك هو الاب الفاضل الخوري مخائيل ابي عراج ومن وجهائهم بيت الزعاتري واصلهم من بني نمر من شرقي الاردن. وغيرهم ينتسبون الى بني هزيم وللاسلام حمولتان حمولة الخطباء واصلهم من الكنير التابع لجبل نابلس وحمولة الخليلية واصلهم من خليل (حبرون) مدينة ابرهيم الشهيرة

باشرنا في يافا رياضة للكاثوليك اقبل عليها جمهور كبير . وكانت النساء في ساعات الفراغ يشتغلنَ بطلاء بيوتهنَّ بالكلس لان الحكومة تهدِّدت بالحبس والجزاء النقدي كل انسان لم يَطلِ بيتهُ في برهة ١٥ يوماً حفظاً على النظافة وعلى صحّة الاهلين لان الكلس يقتل الحشرات التي تأوي الى المساكن وتنقل جراثيم الامراض من الاعلاء الى الاصحّاء . هذا ولنا كلمة نقولها في شأن البلاد الفلسطينيّة وحكمها

بناء على ما سمعناه وشاهدناه يشكو الجميع من الضرائب الباهظة التي فُرضت على الاهلين فان عبئها ثقيل ينوء دونهُ عاتقهم وحالة الفلّاح لمّا يُرثى لهُ في بعض القرى حيث يضطرُّ الى اقتراض ثمن البذار بالربا الفاحش (اربعة او خمسة بالمئة الى ستة شهريًا) وهو يعلّل امالهُ بربح الموسم ليفي ديونهُ فلا يكاد يحصل على ما يؤمّلهُ ولا طاقة لهُ لتحسين ارضهِ بالوسائل الزراعيّة المستحدثة فهو ابدًا مغلوبٌ في امرهِ

على ان الحكومة تسهر بكل حرص على الامن العام فتضرب بأشدّ الصرامة على أيدي المعتدين ولرجال الدرك هيبة في اعين العموم والاملاك الشخصية مصونة فلا تدخل بقرة في حقل الّا وصاحبها حُوسب عنها

وقد اظهرت الحكومة همّة يثنى عليها بتنشيط الزراعة وحسبي ان اذكر ما رأيتهُ

في يافا الناصرة فانَّ الاهلين غرسوا فيها مؤخرًا ٣٥٠٠ زيتونة ومن ٥٠٠ الى ٦٠٠ تينة ومثلها التفاح و ١٠٠٠ شجرة لوز و ٣٠٠٠ كرمة ولا شك ان الصهيونية مع ما تُلحقهُ من الاضرار بصالح فلسطين سوف تفيد بعض الافادة لما يبديهِ الفلاح الالماني او البولوني من النشاط في زراعة الاراضي التي حلَّ فيها فيتعلَّم الفلاح الوطني من اليهودي الاجنبي ويأخذ عنهُ همتهُ واساليبهُ فيعيد لهذه البلاد خصبها القديم ان شاء الله

ان المسافر اذا خرج من يافا الناصرة قاصدًا الى حيفا يجد على شمالهِ قريةً يخالطها قطعةٌ من بلاد الفرنج أُلقيت في طرف مرج ابن عامر الشمالي وهي مستعمرة «معلول» اليهودية ابتاعها الصهيونيون من آل سرسق ووزَّعوها على فلاحيهم فاخذ هؤلاء يستثمرونها فكلَّل النجاح سعيهم هناك املاك واسعة على طرف الطريق غُرست فيها اشجار الاوكالبتوس فنمت وارتفعت بسرعة مدهشة وصارت حمايةً للحقول التي وراءها المزروعة باتقان وترتيب . هناك ايضاً صفوف بيوت بُنيت حديثاً تضحك للشمس استقبلتُها الحمراء بين الرياض الخضراء . يا ليت فلاحنا يرى ويتعلَّم فيصلح احوالهُ

(التتمَّة اعدد آخر)

رسالة

البطريرك ميخائيل جروه السرياني

في

اثبات عقيدة المطهر

هذه الرسالة الفريدة كتبها في دير الشرفة المالك الرحمات البطريرك ميخائيل جروه في غرَّة القرن التاسع عشر بعد ارتدادهِ عن اليعقوبيَّة وأثبت بها حقيقة المطهر من النفس السرياني ومن اقوال الآباء والكتب المقدَّسة . وقد عثر على نسخة منها خطيَّة حضرة القس باسيل بشوري السرياني البغدادي فاعاد فيها النظر وعُني بتنقيحها وارسلها الى مجلة المشرق . فنشرها بنسبة تذكار